٧ أيام

يكتبها اليوم
د. نادر رياض *
www.naderriad.com

البوصلة قبل المسار

لاشك أن الديمقراطية، على اختلاف مستوياتها سواء على مستوى القمة السياسية أو على مستوى الوسط أو على مستوى قاعدة الهرم، أمر غير مختلف حوله، إلا أن ذلك معلق بشرط، ألا وهو التنظيم والانضباط الداخلى لكل مستوى من تلك المستويات بحيث لا يخرج بها من نطاق الديمقراطية المنظمة المنضبطة الرشيدة إلى ديمقراطية الفوضى والتناحر والاختلاف حول كل شىء.

ومن المعروف أن مقومات الدولة تبدأ من استقرار نظامها واستتباب أمنها وحسن إدارتها لمنظومتها الاقتصادية سواء على المدى القصير أو المتوسط أو البعيد. فالأمر أشبه بالسفينة التى يعلن ربانها بعد الإبحار، وهى فى عرض البحر، أن من حق الركاب والبحارة تحديد ميناء الوصول البديل خلافاً للميناء الأصلى لتعذر الوصول إليه لأسباب سياسية تخرج عن إرادة الربان.

ودعماً لمفهوم الديمقراطية المطلقة فإن الركاب والبحارة عليهم تحديد كل ما يلزم من تفاصيل الرحلة من مسارات ملاحية وسرعة الإبحار ونوعية الطعام والشراب وفتح المجال ليشارك الركاب فى عمل البحارة وكذا تولى البحارة المناصب التى يريدونها. ومن أجل المزيد من الديمقراطية فإنه سيفتح المجال أمام الركاب لتنحية أى من البحارة والملاحين والضباط وأيضاً الربان عن عمله وإحلاله بآخر يختارونه إذا تراءى لهم ذلك.

ولنا أن نتصور كيف سيؤدى هذا الأمر بالسفينة وما سيؤول إليه مصيرها جراء ذلك، ولنا أن نتابع مظاهر فوضى شاملة تعم أرجاءها تتصادم فيها الآراء، مما يقربها فى كل مرحلة من استعمال العنف بدرجاته المختلفة، مما يمكن معه تسمية هذا النوع من الديمقراطية ديمقراطية الفوضى الشاملة التى ستنتهى بتلك السفينة البائسة إلى عدم وصولها لأى ميناء، وذلك لعدد من الأسباب والمسببات قد نتصورها كالآتى:

انتهاء الأمر فى هذا الصراع بأن يتبوأ الأقوى عضلات المنصب الذى يختاره، بدءاً من ربان مفتول العضلات لا دراية له بعلم الملاحة مروراً ببحارة من المدنيين يشكلون الفئة الأعلى صوتاً والأقل خبرة، وانتهاء باستهلاك الطعام والشراب فى عرض البحر نظراً لطول الرحلة وعدم الوصول لبر آمن فى الوقت المناسب.

هذه ليست مقدمة لمشروع قصة مسلية من نوع جديد، وإنما هى محاولة لاستقراء واقع الحال.

وإذا كان وطننا هذا يمر بظروف أتت فيه المتغيرات الكثيرة فى وقت واحد على غير توقع فنحن نريدها ديمقراطية رشيدة يعلو فيها العدل ويكثر فيها التعقل ويقل فيها الصياح، تبحث عن نقاط الاتفاق قبل أن تعمق نقاط الاختلاف، تعترف بحب الانضباط وتعلى من شأن العمل، تحترم رجل الأمن الصغير قبل الكبير، وتضع قواتها المسلحة فى مكانتها التى تستحقها حتى لا تنصرف عن واجبها الأساسى فى حماية التراب الوطنى وتشغل بأمور هامشية طارئة تفرض نفسها بإلحاح على الساحة، ولنعلم أن العالم سيقف معنا ولكن ليس بقدر استحقاقنا أو حاجتنا للدعم، وإنما بقدر احترامه لأدائنا فى حسن إدارة الأزمة.

بقى أن نؤكد أن حالة الانبهار العالمى التى أحدثتها ثورة الشارع المصرى، بشبابه ومثقفيه، يجب لها ألا تخبو أو تلحق بها سلبيات نتيجة بعض الأعمال غير المسؤولة وغير المنضبطة التى قد يقوم بها البعض من وقفات احتجاجية غير موفقة، فينعكس أثرها سلباً على ما اتفق على تسميته «ثورة شباب مصر»، فلنتوخ الحذر فقد مضت مرحلة التعبير عن المواقف من خلال الحناجر التى تنطلق من العقل الجماعى، ودخلنا مرحلة الحوار العاقل الرشيد المدعوم بسلطة الحق وشرعية التوجه.

بنى الحمى والوطن علينا أن نرسى قواعد الانضباط فى أرجاء الوطن ولننظر حولنا لنتحقق من أن دولة لم يعلُ شأنها دون التمسك **بالنظام سلوكا والانضباط يقيناً.. فلنعمل جميعاً لنحافظ لمصر على** مكانتها التى تستحقها تحت الشمس.

* رئيس الاتحاد العربى لحماية حقوق الملكية الفكرية